﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾ [فاطر: 34 - 35]

مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الـرّبـطُ بين دخـولِ ورثـةِ الكتابِ الجنّاتِ وبـين الحـمدِ عـلى الإنـعـامِ والتّكرماتِ

بعد أنّ أخبر سبحانه في الآية السّابقة عن جزاء المصطَفَيْن الذين أورثوا الكتاب فكانوا أهلًا لوراثته، وإنْ وقع من بعضهم بعض تقصير حيال أوامره ونواهيه، وجزاؤهم هو ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ﴾ - أخبر هنا بما يقولونه عند دخولهم الجنات حمدًا لله وشكرًا على فضل إحسانه، فقال: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾.

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡحَزَنَۖ﴾: أصل (حزن) كـ (تعب) يدل على خُشونَةِ الشَّيْءِ وشِدَّةٍ فيهِ، والحَزْن هوَ ما غَلُظَ مِنَ الأَرْضِ، والحُزْنُ مَعْروفٌ[1]؛ فإنّه خشونة في النّفس لما يحصل فيه من الغمّ، ولاعتبار الخشونة بالغَمّ قيل: خشّنتُ بصَدْرِه: إذا حزنْتَه[2]، والحُزن ضد الفرح والسّرور، وقال اليزيدي: حَزَنَهُ لغة قريش، وأَحْزَنَهُ لغة تميم[3] فهوَ على ذلك يَتَعَدَّى في لُغَةِ قُرَيْشٍ بِالحَرَكَةِ يُقالُ: حَزَنَني الأَمْرُ يَحْزُنُني[4]، والحُزن بالضمّ والسّكون والحَزَن بفتحتين لغتان بمعنى واحد

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حزن).
(2) الرّاغب، المفردات: (حزن).
(3) الجوهريّ، الصحاح: (حزن).
(4) الفيومي، المصباح المنير: (حزن).

كالبُخْل والبَخَل[1]، والمراد بذهاب الحَزَن في الآية: ذهاب خوف النّار، أو خوف الموت، أو هموم الدّنيا[2].

2) ﴿أَحَلَّنَا﴾: أصل (حلّ) فَتْحُ الشَّيْءِ، لا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ، يقالُ حَلَلْتُ العُقْدَةَ أَحُلُّها حَلًّا ومنه حَلَّ، أي: نَزَلَ، لِأَنَّ المُسافِرَ يَشُدُّ ويَعْقِدُ، فَإذا نَزَلَ حَلَّ[3]، فأصله إذن من حلّ الأحمال عند النزول، ثم جرّد استعماله للنّزول، فقيل: حَلَّ حُلولًا، وأَحَلَّهُ غيره، والحِلَّة: القوم النّازلون، وحيّ حِلال مثله، والمَحَلَّة: مكان النزول[4].

3) ﴿نَصَبٌ﴾: أصل (نصب) يَدُلُّ عَلَى إقامَةِ شَيْءٍ وإهْدافٍ في اسْتِواءٍ، يُقالُ: نَصَبْتُ الرُّمْحَ وغَيْرَهُ أَنْصِبُهُ نَصْبًا[5]، والنَّصيبُ: الحجارة تُنْصَبُ على الشيءِ، وجمْعُه: نَصائِبُ ونُصُبٌ، والنُّصْبُ والنَّصَبُ: التَّعَبُ[6]، وهو المراد هنا فمعنى ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: تعبٌ ومشقَّةٌ[7].

4) ﴿لُغُوبٌ﴾: أصل (لغب) يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وتَعَبٍ؛ تَقولُ: رَجُلٌ لَغْبٌ بَيِّنُ اللَّغابَةِ واللُّغوبَةِ، واللُّغوبُ: التَّعَبُ والإعْياءُ والمَشَقَّةُ[8]، ولَغَب (كفتَح وكتَب وكرُم وفَرِح ماضيًا ومضارعًا): تَعِبَ وأعيا أشدَّ الإعياء، ولَغّبَ السَّيرُ فلانًا وأَلْغبه: أَتعبه أشدّ التّعب، ولغّبَ دابَّتَه -: تحامَلَ عليها حتى أَعْيَت[9]، ومعنى ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعبٌ ومشقَّة. ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ كَلالٌ، إذ لا تكليف في الجنّة ولا كَدّ[10].

المَعْنى الإجْماليُّ:

وقال الّذين أنعم الله عليهم بدخول الجنّة - وهم ورثة الكتاب - بعد دخولهم الجنّة ورؤيتهم نعيمها: الحمد لله الّذي أزال عنا الحزن بسبب ما كنا نخافه من دخول النّار، إنّ

(1) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 38.
(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 90.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلّ).
(4) الرّاغب، المفردات: (حلّ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب).
(6) الرّاغب، المفردات: (نصب).
(7) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 90.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لغب).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقي: (لغب).
(10) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 260، والنّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 90.

ربنا لبالغ المغفرة لذنوب من تاب من عباده، بالغ الشّكر للطّائعين على طاعتهم بما يجزله من عطاء وفضل، ومن ذلك أنّه سبحانه أنزلَنا دار النّعيم المقيم، دار الإقامة التّي لا تحوّل عنها بعد دخولها، ولا انقضاء لنعيمها الخالي من كلّ ما ينغِّص، حيث لا يصيبنا فيها تعب ومشقّة، ولا نكلَّف فيها بكدّ وعناء، تعويضًا عمّا نالنا في الدّنيا من ألوان التّعب من طلب المعيشة، ومعاناة التّكاليف الضّرورية لحياة الدّنيا وحياة الآخرة، ومعاشرة الأضداد، وعروض الآفات والأسقام.

من كمال النّعيم في الجنّاتِ خلوصُهُ من التّعبِ والمنغِّصاتِ

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواوِ في جملةِ ﴿وَقَالُواْ﴾:

الواو يَحْتَمِل أن تكون عاطفة لما بعدها على ما قبلها وهي جملة ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ عطف جمل، ويَحتمِل أن تكون استئنافيَّةً والجملة بعدها مستأنَفَة، وعليه فالفعل ماض مراد به المستقبل[1]، ويحتمل كذلك أن تكون حاليَّةً والجملة بعدها حاليَّة، معبرة عن حالهم وقولهم بعد دخول الجنات، وهو ما رَجَّحه ابنُ عاشور بحجَّة أنّ فيه تخلُّصًا من الحاجة إلى تأويل الماضي في ﴿وَقَالُواْ﴾ بتحقيق الوقوع مع أنّه لم يُقصد في قوله: ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾[2].

تنوّع معاني الواو، مفيد في توسيع المعنى وترسيته

عودُ الضّميرِ في لفظِ ﴿وَقَالُواْ﴾:

الضّمير في ﴿وَقَالُواْ﴾ يعود إلى ما عاد إليه الضّمير في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ أي إلى ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ المقسم إلى ثلاثة أقسام: ظالم، ومقتصد، وسابق، أي هؤلاء كلّهم يدخلون الجنّة؛ لأنّ المؤمنين كلّهم مآلهم الجنّة وهو الوجه الأظهر، أو أنّه يعود إلى السّابق بالخيرات فقط، بناء على الاختلاف في مرجع ضمير الفاعل في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ كما مضى في محلِّه.

بيانُ أنّ الضّميرَ عائدٌ إلى (الذين اصطفينا) بأقسامِهِ الثّلاثةِ

(1) الخطيب وآخران، التّفصيل: 22/ 248.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 316.

نكتةُ التّعبيرِ بالفعلِ الماضي ﴿وَقَالُواْ﴾:

فائدةُ التّعبير بالماضي ونكتَتُه الدّلالَةُ على تحقق الوقوع[1] وأن ﴿وَقَالُواْ﴾ هو بمعنى (يقولون) لتنسجم الصيغة مع صيغة المضارع في ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾؛ وعلى ذلك ففي هذا التّحول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي في ﴿وَقَالُواْ﴾ استعارة تَبَعيَّة، وقد مضى أنّ ابن عاشور يرى أنّ الواو في ﴿وَقَالُواْ﴾ للحال وأنّ جملة (قالوا) حالية، ليتخلص من تأويل الماضي بالمضارع كما مضى بيانه.

تعبيرُ الماضي عن المستقبلِ مجازٌ وغرضُ التّعبيرِ به تحقُّق الوقوعِ

معنى (أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ واللّامُ في ﴿لِلَّهِ﴾:

(أل) في ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ لاستغراق أفراد الجنس، أي كلّ أفراد الحمد وأنواعه، واللّام في ﴿لِلَّهِ﴾ هي لام الاستحقاق، فالحمد كلّه بكامل أنواعه مُسۡتَحَقٌّ لله ﷻ على إفضاله وجزيل إنعامه، وهذا الحمد الكامل مُسۡتَحَقٌّ له وحده دون سواه، وذلك أنّ تعريف الطّرفين – المسند والمسند إليه – مفيد للحَصْر[2].

لا يستحقّ الحمدَ الكاملَ المُطلق أحدٌ إلّا الله تعالى

دلالةُ الجملةِ الاسميّةِ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾:

عبر بالجملة الاسمية في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ للدّلالة على الثّبوت مع الدّوام، فالحمد ثابت له سبحانه ثبوتًا دائمًا مُسۡتَحَقًّا على نِعَمِه الكثيرة الوفيرة التي لا تنقطع أبدًا عن عباده، و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة مقول القول في محلّ نَصْبٍ.

ثبوتُ الحمدِ له سبحانه مع دوامِهِ هو ثبوتٌ مستحَقٌّ بيقينٍ

دلالةُ الموقعِ النّحويّ لقوله ﴿ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ﴾:

الموصولُ في قوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ صفة لاسم الجلالة، وقد أجرى على اسم الجلالة الوصف بالموصول تنويهًا بمضمون الصّلة، ولما يفيده الموصول من تعليل الخبر[3].؛ أي هو سبحانه مُسۡتَحِقٌّ للحمد لأنّه ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ الآية.

التّعبيرُ بالموصولِ صفة لاسمِ الجلالةِ تنويهٌ بمضمونِ جملةِ الصّلةِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 153.
(2) محمد عفيف، الشّامل في بلاغة القرآن: 3/ 50.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 247.

نكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ ﴿عَنَّا﴾:

التّقديمُ المُفيدُ للاهتمامِ والاختصاصِ مبينٌ عن المراد

قدَّم شبه الجملة ﴿عَنَّا﴾ في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾، حيث الضّمير المجرور مراد به أهل الجنّة القائلون ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ للاهتمام والاعتناء، فمحور الحديث دائر عليهم، وما أُذهِب الحزن إلا عنهم، وهو بهذا مفيد للاختصاص كذلك، فَهُمْ وحدَهُم دون أهل النّار من حَظَوا بهذا الفضل.

معنى (أل) في لفظِ ﴿ٱلۡحَزَنَۖ﴾:

استغراقُ كلّ أفرادِ الجنسِ مُعبّر عن الشّمولِ والاستيعابِ

(أل) في ﴿ٱلۡحَزَنَۖ﴾ لاستغراق كلّ الأفراد، فإنّ أهل الجنّة لا ينالهم شيء من الحزن مهما قلَّ، فقد نَزَع الله عنهم أسبابَه وأَبْعَدَ عنهم دوافِعَه؛ كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: 43]، فأكثر أسباب الحزن إنما تأتي بسبب مخالطة النّاس والاحتكاك بهم، أما أهل الجنة فليس بينهم وبين إخوانهم من أهل الجنّة إلا الأنس والمودة؛ كما يعبر عن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: 47 - 48].

بلاغةُ المجازِ في إذهابِ الحزنِ:

في إذهابِ الحزنِ غايةُ اللّطفِ والإشفاقِ

في قوله تعالى: ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ تعبير بالمجاز، حيث استخدم إذهاب الحزن في التّعبير عن الإنجاء منه فَيصْدُقُ بإزالته بعد حصوله، ويَصْدُقُ بعدم حصوله[1]، وعليه ففي ﴿أَذۡهَبَ﴾ بمعنى أنجى استعارة تصريحيّة تبعيّة، أو مجاز مرسل بعلاقة السببيّة، حيث إن إذهاب الحزن سبب في الإنجاء منه، أو بعلاقة اللزوم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 316.

نكتةُ فصلِ قولِه: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾:

قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، اسْتِئْنافُ ثَناءٍ على اللّه شكروا به نعمة السّلامة، وأثنوا عليه بالمغفرة لتجاوزه عما اقترفوه من اللَّمَم وحديثِ الأنفس ونحو ذلك مما تجاوز اللّه عنه بالنّسبة للمقتصدين والسّابقين، ولِما تجاوز عنه من تطويل العذاب وقبول الشّفاعة بالنّسبة لمختلف أحوال الظّالمين أنفسهم، وأثنوا على اللّه بأنّه شكور لما رأوا من إفاضته الخيرات عليهم ومضاعفة الحسنات مما هو أكثر من صالحات أعمالهم[1].

المقصودُ بالسّياقِ الثّناءُ على اللهِ تعالى لفرطِ فضلِهِ وإنعامِهِ

فائدةُ تتابعِ المؤكّداتِ في فاصلةِ الآيةِ:

في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ جملة من المؤكِّدات بغرض الاهتمام والاعتناء بالثّناء عليه سبحانه - لأنّ هذا الكلام منهم إنما يكون في يوم القيامة، حيث لا يوجد منكرون لما قرروه في هذا الثناء - هي: الاستفتاح بـ﴿إِنَّ﴾ التوكيدية، والاسمية الجملة، واللّام المزحلقة الدّاخلة على الخبر، والختم باسمي (غفور وشكور) مع تنكيرهما وبنائهما على المبالغة.

غرضُ تتابعِ المؤكّداتِ هو الاهتمامُ والاعتناءُ بالثّناءِ على اللهِ تعالى

نكتةُ التّعبيرِ بلفظِ الرّبوبيّةِ مُضافًا:

يبرز أوّلًا سرّ اختيارهم لفظ الرّبوبية دون الألوهيّة، وذلك لأنّ فيض الإنعام إنّما هو من تجليات الرّبوبية، ثمّ إنّ في إضافة لفظ الرّبوبية إلى ضميرهم تشريفًا لهم وتكريمًا.

سرُّ إظهارِ لفظِ الرّبِّ في موقعِ الإضمارِ:

قوله:﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، وفيه أظهر اسم الرّب في محلّ إضماره لسبق ذكره في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، قصدًا إلى التّعرض لعنوان الرّبوبية، وما يترتّب عليها من مغفرة ذنوبهم، وشكر أعمالهم بالمكافأة عليها بالفضل لا بالعدل.

الرّبوبيةُ مسلكٌ للغفرانِ والشّكرانِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 316.

علّةُ التّذييلِ بقولِه: ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

الـشّـكـرانُ والـغـفرانُ إبـرازٌ لكمالِ العنايةِ والإنعامِ

ذيّلت الآية الكريمة بالاسمين الجليلين (غفور وشكور) اللَّذَيْن تعانقا هنا لإبراز كمال العناية وكمال الإنعام على ورثة الكتاب؛ فإنّ من مقتضى ذلك مغفرة ذنوبهم التي صدرت منهم بمقتضى كونهم غير معصومين، وهو ما أفاده الاسم الجليل (غفور) أي عظيم المغفرة، ثم مضاعفة حسناتهم على أعمالهم، مع الإغداق عليهم من فضله الواسع الذي يكون بلا مقابل؛ وهو ما أفاده الاسم الجليل ﴿شَكُورٌ﴾ أي كثير الشّكر وافر العطاء "فهو شكر بالعمل؛ لأنّ الذي يجازي على عمل المَجْزيّ بجزاء وافر، يدل جزاؤه على أنّه حمد للفاعل فعله"[1] فالشّكر على هذا مجاز عن الإثابة[2].

نكتةُ تقديمِ ﴿لَغَفُورٌ﴾ على ﴿شَكُورٌ﴾:

المـغـفـرةُ سلامةٌ مـطـلـوبـةٌ قبل الشّكرِ الّذي هو فضلٌ وغنيمةٌ

وفي سرّ تقديم ﴿لَغَفُورٌ﴾ على ﴿شَكُورٌ﴾ يقال: إنّ المغفرة هي صون العبد من أن يناله العقاب أو يمسَّه العذاب، مأخوذة من قولهم: اغْفِرْ ثوبك في الوعاء، واصبغ ثوبك فإنّه أَغْفَرُ للوسخ[3]، وأمّا الشّكر فهو مكافأة على حسن العمل مع مراعاة الفضل في المكافأة والإكرام، وعليه، فالتّرتيب بين الاسمين الجليلين في محلّه، من حيث إنّ تقديم ما يفيده الاسم الأوّل، مقدَّم على ما يفيده الثّاني؛ لأنّ التّخلية مقدّمة على التّحلية.

غرضُ تنكيرِ ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾:

بيانُ أنّ التّنكيرَ للتّعظيمِ ومزيدِ الفضلِ

ونَكَّر الاسمين الجليلين، تفخيمًا وتعظيمًا، فهو سبحانه متّصف بالمغفرة البالغة التي تطمع المقصرين في مغفرته وعفوه، وبالشّكر العظيم، الّذي يثلج صدور الطّائعين ويحفّزهم على مزيد الطّاعة والإكثار من القربات.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 308.

(2) ابن التّمجيد، حاشية ابن التّمجيد مع القونويّ: 16/ 62.

(3) الرّاغب، المفردات: (غفر).

فائدةُ المبالغةِ في صيغتي المغفرةِ والشّكرِ:

المبالغةُ في صفاتِ اللهِ دلالةٌ على عظمتِهِ وجلالِهِ

وصياغة هذين الاسمين الجليلين على طريقة المبالغة راجع إلى عظيم أمرهما وجلالة قدرهما، وإلى تكرر آثار كلّ صفة منهما مع الفرد الواحد، فهو سبحانه يغفر لعبده مرات ويتوب عليه مرات ويكافئه بفضله مرات ومرات، فتمتد آثار شكر الله للعبد رأسيًّا وأفقيّا، وهكذا بسائر العباد.

ومما وجَّه به العلماء مجيءَ صفات الله تعالى على جهة المبالغة كذلك؛ أنّها منظور فيها إلى اعتبار تعدد المفعولات[1]، ومعنى ذلك أنّ سلطان صفات الله تعالى يقع على أفراد عديدين؛ بل جماعات متعددين في الوقت الواحد، لأنّه سبحانه عظيم في صفاته[2].

نكتةُ فصلِ قوله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا﴾:

قوله تعالى:﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾، صفة لقوله ﴿رَبَّنَا﴾ في الآية السّابقة، ولهذا فُصلت عمّا قبلها لما بينهما من كمال الاتّصال.

سرُّ التّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وصلتِهِ:

ذِكْرُ الموصولِ تنويهٌ بمضمونِ الصِّلةِ

عبّر بالموصول في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ الّذي هو صفة لـ ﴿رَبَّنَا﴾، تنويهًا بمضمون الصّلة، وهو كونه سبحانه قد أنعم عليهم أيضا بأنّ أحلَّهم ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ وهي الجنّة حيث يقيمون فيها بلا رحيل عنها، وهذا أيضًا من دواعي قصر الحمد الكامل عليه سبحانه وحده.

دلالةُ مفعولي (أَحَلَّ):

تعديةُ الفعلِ لمفعولَيْن أوفى في الدّلالةِ عن المُرادِ

المفعول الأوّل في قوله: ﴿أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾، هو ضمير المفعول في ﴿أَحَلَّنَا﴾، والمفعول الثّاني هو ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾، ولا يصحّ أن يكون ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ ظرفًا؛ لأنّه مختصٌّ فلو كان ظرفًا لتعدَّى إليه الفعلُ بـ (في)[3].

(1) الزّركشي، البرهان: 2/ 508.
(2) أحمد الخطيب: مفاتيح التفسير: 2/ 751.
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 233.

نكتةُ وصفِ الجنّةِ بدارِ المُقامةِ:

الجنّةُ هي دارُ الإقامةِ التّي لا تحوّل عنها لمَنْ دَخَلَها

في قوله: ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ إشارة إلى أنّ الجنّة دار خلود وبقاء، لا يتحول عنها أبدًا من دخلها ولا يموت، بخلاف الدّنيا؛ فإنها منزلة ينزلها المكلَّف ويرتحل عنها إلى منزلة القبور، ومن القبور إلى منزلة العرَصة التي فيها الجمع، ومنها التّفريق إلى الجنة وإلى النّار، وقد تكون النّار لبعضهم منزلة الانتقال، وأما الجنّة فهي دار الإقامة مطلقًا[1].

الغرضُ من التّعبيرِ بالمصدرِ الميميّ ﴿ٱلۡمُقَامَةِ﴾:

المصدرُ الميمي يدلّ على نهايةِ الأمرِ وغايتِهِ

المقامة مصدر ميميّ بمعنى الإقامة؛ لأنّ المصدر الميميّ من المزيد يكون على صيغة المفعول كالمُدخَل والمُخرَج[2]، وفي التّعبير بالمصدر الميميّ قوّة وتأكيد، إضافة إلى ما يشعر به من انتقالهم من حالة إلى حالة، ومن دار إلى دار، بحيث تكون هذه الدّار ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾، هي نهاية الأمر، وأنّه لا تحوّل عنها، فمثلا كلمة المآب، وهي مصدر ميميّ تدلّ على نهاية الأمر وغايته، وكذلك كلمة المصير وكلمة المنقلب ونحوها، وهذا بخلاف المصدر الأصليّ الّذي يدل على مجرّد الحدث، دون أي ملابسات أخرى[3].

معنى ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾:

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ ابتدائيّة في موضع الحال، من ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾[4]، وجائز أن تكون لام العِلّة والسّببيّة[5]، أي بسبب فضله ولأجله.

نكتةُ إضافةِ الفضلِ إلى ضميرِ العَظَمَةِ:

بيانُ أنّ الإضافةَ للتّشريفِ ولِفَرْطِ الأدبِ مع اللهِ

أضاف الفضل إلى ضمير العظمة، في قوله: ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾

(1) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 7/ 38.
(2) شيخ زاده، حاشية زاده على تفسير البيضاوي: 7/ 38.
(3) السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 35.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 316.
(5) السّمين، الدّرّ المصون: 9/ 232، والخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 249.

تعظيمًا لما ينالهم من فضل الله، فكلّ فضل من العظيم عظيم، وتأدُّبًا في نسبة ما نالوه من عطاء وجزاء إلى فضل الله لا إلى أعمالهم التّي قدَّموها. "ومن علم أنّ العمل متناه زائل، وثواب الجنّة دائم لا يزول، لم يشكّ في أنّ الله تعالى ما أحلّ مَنْ أَحلَّ دارَ الإقامة إلّا من مَحْضِ فضله سبحانه"[1].

نكتةُ فصلِ قوله ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾:

دلالـــةُ جملةِ الفصلِ المنفيّ مضارعها على البيانِ المُرادِ

قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ جملة حالية في محلّ نصب، سبب فصلها مع كونها جملة حالية، هو كونُ فعلها مُضارعًا مَنْفيًّا بـ ﴿لَا﴾[2]، وهذه من الحالات التي تفصل فيها الجملة الحالية عن سابقتها.

وجائز أن تكون الجملة مُستأنَفَة استئنافًا ابتدائيًّا مسوقًا لبيان سَلْب التّعب عنهم إثر بيان إثبات أنواع المسرّة[3]، وأيضًا للإخبار عن نعمة أخرى جديدة تضاف إلى ما سبق من نِعَم، وتكون مستقلّة عنها، والغرض الإغراق في بيان فضل الله عليهم، وهذا من لوازم الشكر.

سرُّ التّعبيرِ بالمسِّ دونَ الإصابةِ:

التّنبيهُ بنفي الأدنى على نفيِ الأعلى

ومما يلفت في دقة التّعبير القرآني هو إيثاره أن يكون الفعل المنفي مأخوذًا من المسّ الذي يُعبِّر عن اللمس الرّقيق، ولم يقل: (لا يصيبنا) فيُشْعِر بعمق الإصابة والإيلام؛ لأنّه إذا نَفَى الأقلَّ والأدنى وهو المَسُّ، فقد نفى الأعلى وهو الإصابة والإيلام، وهذا من باب التّنبيه بنفي الأدنى على نفي الأعلى.

نكتةُ التّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿لَا يَمَسُّنَا﴾:

المضارع المنفيّ بـ (لا)، يـدلّ على عـــدم حـصـول المـنـفـيّ حـالًا واستقبالًا

نكتة التّعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَمَسُّنَا﴾ المنفي بـ ﴿لَا﴾ هو الدّلالة على استمرار هذا النّفي وعدم انقطاعه في المستقبل، فإنّ ﴿لَا﴾ إنّما

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 372.
(2) الهاشميّ، جواهر البلاغة، ص: 188.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 170.

تكون لنفي الاستقبال باتّفاق، ولنفي الحال أيضًا على رأي كثيرين، والمعنى: لا يمسّنا في الحال ولا في الاستقبال ما ينغّص علينا من النّصب واللّغوب، فنفيُ مسّ النّصب واللّغوب في الجملتين بصيغة المضارع، اسْتمْرارٌ تجدّديٌّ بواسطة توهّم عروض تعب ناشئ من قياس النّشأة الأولى، فنفى ذلك بالاسْتمْرار التّجدديّ، والمَعْنَى كلّما توهّم نزول تعب بسَبَب من الأسباب، فلا يمسّهم نصب ولا لغوب، فَضْلًا عن نزوله وعروضه[1].

نكتةُ تقديمِ المفعولِ بِهِ على الفاعلِ:

قُدّم المفعولُ به لاتّصالِهِ بالفعلِ والاهتمامِ به

قدم المفعول به على الفاعل في قوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ فكلمتا ﴿نَصَبٌ﴾ و﴿لُغُوبٌ﴾ كلتاهما فاعل لـ ﴿يَمَسُّنَا﴾ في الموضعين، و(نا) الفاعلين في الموضعين مفعول به، وإنّما قدم المفعول به لكونه ضميرًا متصلًا بالفعل، وكون الفاعل اسمًا ظاهرًا في الموضعين، فحالئذ يجب تقديم المفعول به على الفاعل، ومع هذا الوجوب التّركيبي نلمح سرًّا معنويًّا وهو أنّ تقديم المفعول به أفاد الاهتمام والاعتناء بورثة الكتاب الذين أَحلَّهمُ اللّهُ دارَ المُقامَة وأبعد عنهم الحزن، ونفى عنهم النّصب واللغوب.

نكتةُ الظّرفيّةِ ﴿فِيهَا﴾ وتقديمُها:

الظّرفُ هنا قيدٌ في انتفاءِ النّصبِ واللّـغـوبِ في الجنّةِ

عبَّر بشبه الجملة الظّرف في قوله ﴿فِيهَا﴾ وقَدَّمَه في الموضعيْن على الفاعل ﴿نَصَبٌ﴾ و﴿لُغُوبٌ﴾ للإشعار بكون هذا الظّرف قيدًا في الانتفاء، فَعَدَمُ مَساسِهم بالنَّصَب واللُّغوبِ هو مقيّد بدخول الجنّة لا قبله، ففي الدّنيا قد يصيبهم النّصب، وما هو أعلى منه؛ لأنّ الدّنيا دار اختبار وعمل وتمحيص، وأمّا الجنّة فهي دار نعيم مقيم، مجرّد عن كلّ ما يسمّى نَصَبًا أو لُغوبًا، وفي التّقديم دلالة على فضل الجنّة لكونها دار رضا الرّحمن التي ينعَّم فيها عباده الطّائعون.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 171.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿نَصَبٌ﴾:

بـيـانُ أنّ عـلّـةَ التّنكيرِ التّعميمُ والتّقليلُ

وسِرُّ تنكير قوله ﴿نَصَبٌ﴾ هو التّعميم والتّقليل، على معنى لا يمسُّنا فيها أقلُّ النَّصَب فضلًا عن كثيره، فوقوع كلمة ﴿نَصَبٌ﴾ نكرةً في سياق النّفي يدلّ على نَفْيِ وقوعِ كلّ ما يُسمَّى نَصَبًا وإن دَقّ أو صَغُر، فَضْلًا عمّا كَثُر منه أو كَبُر.

دلالةُ موقع ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾:

جملة ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾، جملة حالية من ضمير المفعول به الأوّل، في ﴿أَحَلَّنَا﴾، وهو الأظهر، أو هي حال من المفعول الثّاني، وهو ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾[1].

معنى الواوِ في قوله ﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾:

الواو للعطف، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾[2] ولها حكمها.

بلاغةُ المجازِ في السّياقِ المُحكَمِ:

في التّعبيرِ بالمسّ عـن الإصـابـةِ استعارةٌ تبعيّةٌ

في التّعبير بالمسّ المنفيّ، في قوله: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ استعارة تَبَعيَّة، حيث استعمل المسّ في معنى الإصابة، وسرّ العدول عن التّعبير بالإصابة إلى التّعبير بالمسّ، هو أنّ التّعبير بالمسّ أرقّ من التّعبير بالإصابة، فإذا نفاه فقد نفى ما هو أعلى منه، فيكون من باب التّنبيه بنفي الأدنى على نفي الأعلى كما مضى ذكره.

نكتةُ إعادةِ ذِكْرِ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا﴾:

التّكريرُ للتّأكيدِ والمبالغةِ، وعدّ كلّ جملةٍ نعمة مستقلّة

في إعادة الفعل المنفي في قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ تأكيد انتفاء المسّ[3] ومبالغة في انتفاء كلّ منهما[4]، وفي استقلال هذه

(1) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 250.
(2) الخطيب وآخران، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 22/ 250.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 317.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 154.

الجملة الثّانية عن الأولى حيث لم يقولوا: (ولا يمسُّنا فيها نَصَبٌ ولا لُغوبٌ) إشعار بأنّ أهل الجنّة قد عَدّوا كلّ واحدة منهما نعمة مستقلة بذاتها شكرًا لله واعترافًا له بالفضل.

عِلَّةُ الجمعِ بين نفي مساسِ التّعبِ والنَّصَبِ:

نَـفْـيُ الـتّـعـبِ البدنيّ والنّفسيّ مدعـاةٌ لتكاملِ عافيتِهم

وإنما جمع بين نَفْيُ أن يمسّهم تعب أو نصب؛ لتتكامل عافيتهم البدنية والنّفسية، فقولهم: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي تعب بدن، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي تعب نفس، وهو لازم عن تعب البدن[1]، فالفرقُ بينهما أن النّصب هو نفس المشقَّة والكُلفة، واللُّغوب ما يحدث منه من الفتورِ، والتَّصريحُ بنفي الثّاني مع استلزامِ نفي الأوَّلِ له[2].

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿لُغُوبٌ﴾:

وتنكير ﴿لُغُوبٌ﴾ كتنكير ﴿نَصَبٌ﴾ وهو الدّلالة على التّقليل، على معنى لا يمسُّنا فيها أقلُّ النّصب وأقلُّ اللغوب، فَضْلًا عن الكثير منهما.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحريرُ والسّندسُ والاستبرقُ:

ثـلاثـتـهـا مـن النّسيجِ الغالي الـنّـفـيـسِ، والـفـرقُ بينها في سُـمـكـهـا واستخدامِها

يشترك كلّ من الحرير والسندس والإستبرق في كون كلّ منها من أنواع النّسيج النّفيس والفرق بينها في سُمكها واستخدامها؛ فالحَريرُ من الثّياب كما قال الرّاغب: هو ما رَقَّ، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: 33][3] "فهو رقيقٌ ناعم ليس فيه غِلَظ»[4] والإستبرق هوَ ما غَلُظ مِنَ الحَريرِ، وقيل: الدّيباج الغليظ الخشن[5].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 34.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 154.
(3) الرّاغب، المفردات: (حر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (حر - حرر).
(5) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 47، وابن منظور، لسان العرب: (استبرق).

والسّندس هو: نمارق من الحَرير[1]، وقيل: هو رقيق الدّيباج بالفارسية[2].

الحمد والشّكر:

الحمدُ: الثَّناءُ على الجميل سواءً كان نعمةً مُسْداةً إلى أحدٍ أم لا، يقال: حَمِدْتُ الرجل على ما أنعم به عليَّ وحَمِدْته على شجاعته، ويكون باللسان وحدَه دونَ عملِ الجَوارح، إذ لا يقال: حَمِدْت زيدًا أي عَمِلْتُ له بيديَّ عملًا حسنًا، بخلافِ الشّكر فإنّه لا يكونُ إلّا نعمةً مُسْداةً إلى الغيرِ، يقال: شكرتُه على ما أعطاني، ولا يقال: شكرتُه على شجاعته، ويكون بالقلب واللسان والجوارح، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: 13] وقال الشّاعر:

أفادَتْكُمُ النَّعْماءُ مني ثلاثةً *** يدي ولساني والضميرَ المُحَجَّبا

فيكونُ بين الحمد والشّكر عمومٌ وخصوصٌ من وجهٍ، وقيل: الحمدُ هو الشّكرُ بدليل قولهم: "الحمدُ للّه شكرًا"، وقيل: بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ والحمدُ أعمُّ من الشّكرِ، فكلُّ حَمْدٍ شكرٌ ولا عكس[3].

الحمدُ أعمّ من الشّكر، وبينهما عمومٌ وخصوصٌ وجهيٌّ، أو مُطلقٌ على خلافٍ

الحزنُ والغمّ والهمّ والبؤس:

الحُزن بالضم والسّكون والحَزَن بفتحتين لغتان بمعنًى واحد كالبُخْل والبَخَل[4]، وأصل (حَزِن) كـ (تَعِب) يدلّ على خُشونَةِ الشَّيْءِ وشِدَّةٍ فيهِ، والحَزْن هوَ ما غَلُظَ مِنَ الأَرْضِ، والحُزْنُ مَعْروفٌ[5]؛ فإنّه خشونة في النّفس لما يحصل فيه من الغمّ، ولاعتبار الخشونة بالغمِّ قيل: خشَّنتُ بصدره: إذا حزنْتَه[6]، والغمّ كَرْبٌ يحصل للقلب بسبب

هـذه الألـفـاظ هي انفعالات، يـجـمـعـهـا الحـزن، لكونه أثرًا لها

(1) الكفوي، الكليات، ص: 519.
(2) السّيوطي، الإتقان: 2/ 135.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 201، والراغب، المفردات: (حمد)، والسّمين، الدّرّ المصون: 1/ 36.
(4) شيخ زاده، حاشية زاده: 7/ 38.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حزن).
(6) الرّاغب، المفردات: (حزن).

ما يحصل، والهمّ لما يتوقع حصوله، قال العسكريّ في الفرق بينهما: الهمّ هوَ الفِكر في إزالَة المَكْروه واجتلاب المحبوب، ولَيْسَ هوَ من الغم في شَيْء، أَلا ترى أَنَّك تَقول لصاحبك: اهتم بحاجتي ولا يَصح أَن تَقول اغتمَّ بها، والغَمّ معنى ينقبض القلب مَعَه ويكون لوُقوع ضَرَر قد كانَ، أَو توقع ضَرَر يكون أَو يتوهَّمُه[1].

وقال صاحب "تاج العروس" في التّفريق بينهما: الغمّ هو الكرب يَحصُلُ لِلْقَلْبِ بسَبَبِ ما حَصَلَ، والهَمُّ هوَ الكَرْبُ يَحْصُلُ بِسَبَبِ ما يُتَوَقَّعُ حُصولُه مِنْ أَذًى[2].

والبَأْسُ والبُؤْسُ والبَأْساءُ: الشّدة والمكروه، إلا أنّ البؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في النّكاية، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾ [النساء: 84]، وقوله: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام: 42] وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ [البقرة: 177][3].

وعن معاني هذه المفردات جميعها ينشأ الحزن؛ فهو انفعال نفساني وشعور ينشأ عما يعتري النّفس من الهم والغم والبؤس.

الحلّ والإقامة والسّكن:

الحِلُّ هو النّزول بالمكان، وأصل (حَلّ) فَتْحُ الشَّيْءِ؛ يقالُ: حَلَلْتُ العُقْدَةَ أَحُلُّها حَلًّا ومنه حَلَّ، أي: نَزَلَ، لِأَنَّ المُسافِرَ يَشُدُّ ويَعْقِدُ، فَإذا نَزَلَ حَلَّ[4]، فأصله إذن من حلّ الأحمال عند النّزول، ثم جُرِّد استعماله للنّزول، فقيل: حَلَّ حُلولًا، وأَحَلَّهُ غيره، والحِلَّة: القوم النّازلون، وحيٌّ حِلالٌ مثلُه، والمَحَلَّة: مكان النزول[5].

النّـزولُ بالمكانِ والــقــرارِ فيه مشتركٌ بينهما، وكـلٌّ منها يُقال باعتبارٍ مُعيَّنٍ

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 266، 267.
(2) الزَّبيدي، تاج العروس: (غمم).
(3) الرّاغب، المفردات: (بؤس).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلّ).
(5) الرّاغب، المفردات: (حلّ).

وأما الإقامة، فهي من أقام بالمكان بمعنى استقر فيه، وكذلك (المُقام) بضم الميم فمعناه الإقامة بالمكان[1]، وأما المَقام بِالفَتْح فمصدر قامَ يقوم مَقامًا والمقام أَيْضًا مَوضِع القيام، والمَقامة بِالفَتْح المجْلس الَّذي يُتحدث فيهِ[2].

والمُقامة - بالضم - الإقامة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي الإقامة، وقوله تعالى: ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب: 13] من قام، أي: لا مستقرّ لكم[3].

والسكن مأخوذ من السُّكون وهو: ثبوت الشيء بعد تحرّك، ويستعمل في الاستيطان نحو: سَكَنَ فلان مكان كذا، أي: استوطنه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: 37][4].

والسّكن: اسم بمعنى المسكون، يقال: سكن فلان البيت، إذا جعله مَقَرًّا له، وهو مشتقٌّ من السّكون، أي القرار[5].

والمعنى المحوري للسّكن: استقرار في جوفِ حيِّز أو باطن، كالقوت في الجوف، وسكن بالمكان أقام، بمعنى: استقرّ في جوفه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: 45]، ويقال لأهل الدّار: ساكنون؛ لأنّهم يستقرون في جوف البيت والمنزل[6].

وعلى هذا فالذي يجمع بين ثلاثتها هو النّزول بالمكان والقرار فيه، وكلٌّ منها يقال باعتبار معين، فالحلّ باعتبار النّزول بالمكان، والإقامة بمعنى القيام والاستقرار فيه، والسّكن بمعنى السّكون فيه والاستقرار كذلك.

دار السّلام ودار المقامة وجنات عدن ونحوها:

هذه الأوصاف وغيرها مما ذُكر في القرآن هي صفات راسخة في الجنّة ولذلك أضيفت إليها فقيل: دار السّلام في قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (قوم).
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 307.
(3) الرّاغب، المفردات: (قوم).
(4) الرّاغب، المفردات: (سكن).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 238.
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي: (سكن).

127] ودار المقامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وجنّات المأوى في قوله سبحانه: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٩﴾ [السجدة: 19] وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: 13 - 15] وجَنّات عَدْنٍ في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد: 23] وقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ وجَنّات النعيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [لقمان: 8].

كلُّ ما ورد، هي معانٍ وأوصاف ملابسة للجُنَّة لغةً، وبعضها قد يكون مراتب لها

فهذه جميعُها أوصاف للجنّة، أو مراتبُ لها، ولها معانيها الحاصلة والمُلابسة للجنّة: فهي دار السّلام؛ من السّلامة لأن مَنْ فيها يَسلمون من الأذى والمنغِّصات، وهي دار المقامة التي يقيم فيها الصّالحون بلا ارتحال عنها، وهي جنّات المأوى؛ لأنّ الصالحين يأوون إليها لا إلى غيرها كما أن أهل النّار يأوون إليها كذلك، وهي جنات عَدْن لكونها مستقرًّا لأهلها فيقال: عدن بالمكان أي: أقام فيه، وهي جنات النّعيم لكون أهلها ينَعَّمون فيها، وعلى هذا، فكلُّ ما ورد في ذلك هي معانٍ وأوصاف ملابسة للجنّة بمعانيها المعروفة في اللغة، وبعضها قد يكون مراتب لها.

النَّصَب واللُّغوب:

النّصب واللّغوب من باب واحد، وقد وردا معًا في قول ورثة الكتاب حال دخولهم الجنّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

النّصب هو تعب البدن والجسم، واللّغوب هو الألم النّفسانيّ

وعن الفرق بينهما قال أبو السّعود: والفرقُ بينهما أنّ النّصب

نفس المشقَّة والكُلفة، واللُّغوب ما يحدث منه من الفتورِ[1]، وقال البِقاعيُّ: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي نصبُ بدنٍ ولا وجعٌ ولا شيءٌ ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي كَلالٌ وتعبٌ وإعياءٌ وفتورُ نفس من شيء من الأشياء، قال أبو حيان: هو لازم من تعب البدن، فهي الجديرة لعمري بأن يقال فيها:

علينا لا تنزل الأحزان ساحتها *** لو مسّها حجر مسّته سراء[2].

أي أنّ النّصب هو تعبُ البدن والجسم، واللُّغوب هو الألم النّفساني الذي قد يكون أثرًا لتعبِ البدن وقد يكون ذاتيًّا.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 154.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 61.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»